معرض الرسم الالماني في دمشق

غاية الفن الحديث

تتفجر القداسة من قدم الانسان في ارض الصين ، والقداسة تستلزم وجود شيء وصديقه . وهناك صفحة مهترئة من صفحات تاريخ الانسان في تلك البقاع تهيمن عليها القداسة تروى ان احد ملوك الصين احب يوما ان يتمتع برؤية التنين (الدراجون) الخرافي ، فطلب الى فنان مشهور ان يرسم له لوحة تمثل هذا التنين ، واعطاه مهلة سنتين . ولما انقضت هذه المدة الطويلة ، جاء الفنان يحمل لوحته العظيمة . وفوجيء الملك بغرابة اللوحة التي لم تحو الا على مجرد خطوط منطلقة لا معنى لها فقال الملك:

ـ او تسخرمني يا هذا .. وامر بحرق منزله ، وقبل الحرق فتش المنزل فعثر به على عدد كبير من اللوحات العادية التي تمثل التنين واكثرها يرضي الملك بصورها المالوفة .

هذه حكاية قديمة مقدسة تنقل الينا ان الخطوط المنطلقة والاشكال الحرة المجردة احترمها الفنان وعبرت عن نفسه اكثر من الخطوط المقيدة والدراسات الوصيفة المعتمدة على الشكل الظاهري للاشياء ..

ترى لماذا تبنى الفنان الصيني الخطوط المنطلقة وانصرف عن اللوحات الطويلة العريضة التي كان بالامكان ان ترضي السلطان او الملك ؟ وما ماهية هذه الخطوط المنطلقة ؟ الحق ان الجواب على هذا السؤال هو منطق الفن الحديث . ويقول الفنانون التجريديون ان العلاقات اللونية ، وتناسب السطوح ، والتوافق والايقاع ، والسعة ، هي قيم اكثر موضوعية من المظهر الطبيعي العارض للاجسام فهم على هذا يبحثون عن الاجسام نفسها وليس مظاهرها العارضة . ان الفنان الحديث يقوم بالكشف عن الحقائق عند التصوير ، وهذا ما يعنيه بيير ريفيردي عندما يقول (١) :

« ان منطق العمل الفني ، هو تركيبه ، وفي اللحظة التي ترتبط اجزاؤه بعضها ببعض وتتزن ، فان العمل يصبح منطقيا ، وعندما نسأل على اي شيء يدلنا هذا العمل ؟ يدلنا على نفسه . فكل جزء فيه لم يعمل الالذات العمل . »

ذات العمل ، او النفس الداخلية للاشياء هي محتويات اللوحات الحديثة لا الاشكال المكشوفة امام عدسة التصوير الفوتوغرافي . ولقد قذف الفن الحديث بالشكل الميكانيكي الذي كان يهدف الى تمثيله الفن القديم او الفنانون المنطلعون الى تجميد الزمن وتصليب المستقبل في الماضي ، او رفع شان القدم . لم تعد ميلة الرسام دراسة الابعاد الثلاثة للمنظور ثم نقل المنظور خطا بخط ومساحة بمساحة او بتعبير آخر مهمة الرسام الحديث ان يسجل ما وراء العشاء السري لا ان ينقل صور المسيح والحواريين وبهوذا . على الفنان ان يلخص ويبسط ، ثم ان يختار ويؤكد وهذه مهمة تتصل بالعلم كل الصلة ، وهي مع اتصالها بالعلم هذه الصلة الوثيقة ، تتيح لكل فنان ان يكون حرا عند التعبير، وهذا هو السبب في اننا نرى لكل فنان اتجاها خاصا به ، ونرى تعدد المدارس الفنية في السبعين سنة الاخيرة تعددا لم يعرفه تاريخ الرسم من قبل .

كل الاعتراضات التي قامت بوجه الفن المجرد ، انما هي من قبل التمسك بالمالوف والركون الى المتعارف عليه المعتاد . والابتعاد عن ارتياد عوالم فنية جديدة ، يؤمن بها شباب آمنوا بالحقيقة العلمية وبالجمال المطلق .

تقييم الفن الحديث ورؤيته ليسا اكثر من رحلة تذوق يقوم بها المشاهد مقتفيا بها فرضيات الفنان المنتج في تحليله وتركيبه لخلق الجمال المطلق في المنظور الاصلي . وبذلك اما ان يفهم المشاهد كل شيء واما ان لا يفهم شيئا . والصعوبة والسهولة في القدرة على تفسير معاني الفنان . المطلق هنا يتحدث عن طريق فهم الفنان وادراكه . ونصل بذلك الى : انا المنظور والمنظور انا فاذا ادركته ادركتني واذا ادركتني ادركته

بعد هذا فليعذرني القراء اذا لم اقدم لهم وصفا كالذي اعتادوا عليه في تقارير المعارض الفنية الكلاسية ، لان الفنان الالماني في هذا المعرض يلح في تاكيد البعد عن الكلام وفي تعبير الفن المجرد بالفن المجرد وهناك الكثير من اللوحات تسمى كما يلي :

(٥٧/د٢ ـ ٢١) ـ (٥٧/ن٣) او

(س.و.ك١ـ٥٧) ـ (س.ج.ك ٣ ـ ٥٧)

صورة بالاحمر ـ صورة بالاصفر

اذن فسأبتعد وسعي عن الاصطلاحات القديمة وعن التاشير بالعصا واكتفي هنا ببعض الملاحظات العامة حول هذا المعرض الفريد من نوعه

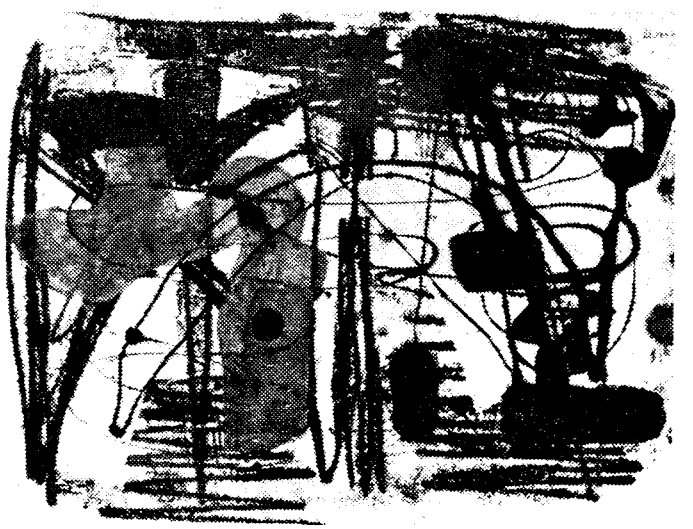

خطوط منطلقة ـ لفريتس فينتر

(١) Sam Hunter, Modern French Painting,P. 155.

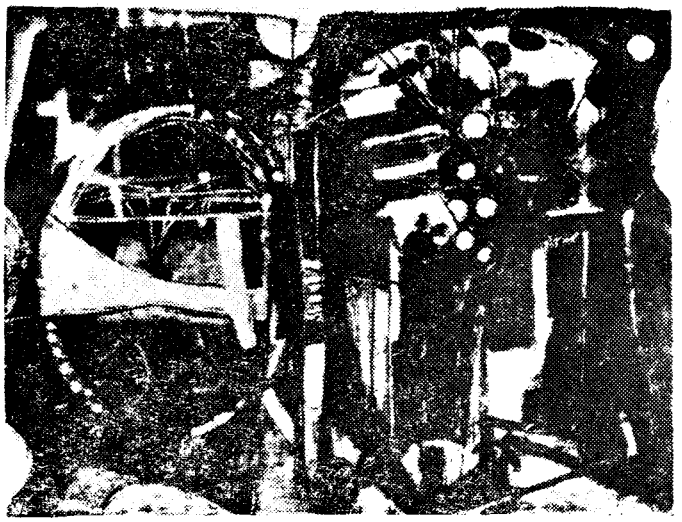

بيض البوم ـ لجوزيف فاسيندر

الذي لا يقوم على لوحات جدارية ، وطبقات من الالوان الزيتية وانما على اساس اللوحات الصغيرةوالصالحة لصالات العرض المحدودة الاتساع . واكثر اللوحات مرسوم بالالوان المائية او بطبقة من الجواش ولا يستعمل الزيت الا نادرا وبواكب احيانا بالالوان المائية كماهي الحال عند فريد تيلر .

ولا شك ان الاساليب المميزة لاكثر الفنانين العارضين هي اول ما يقابلنا وكثير من العارضين اساتذة في المدارس العليا لتدريس الرسم في المانيا او فنانون مشهورون من المجلس الاستشاري للفنون من امثالارنستفيلهلم ناي و جورج مايسترمان و جيرهاردماركس وغيرهم .

وهناك فنانون لا يقومون باعمال كبيرة وانما يرسمون فقط من امثال اميل شوماخر وفريد تيلر . وبين العارضين فنانون لهم خبرة في غير هذا النوع من الرسم من امثال النحاتين المعروفين باول ديركه و برنهارد هايلتجر والحفار على الخشب جورج مايسترمان وهؤلاء الفنانون استفادوا من خبراتهم السابقة ولذلك نجد فكرة التجسيم في اعمالهم . والى جانب هؤلاء نجد فنانين تنبع لوحاتهممن العقل الباطن مباشرة وتستمد المرئيات كيانها من الاحساس الداخلي فقط مثل اميل شوماخر و رولف كافايل .

اما عن المواضيع فهي تمتاز بالتوزيع والاختلاف حسب تفكير الرسام فالى جانب الاله بان اله الرعي والحقول فيرسم جريزهابر نجد فنانة مثل ماريانا جوريش لا يهمها غير الرماد (رماد ملتهب ـ رماد بارد)

وهناك لوحات ذات مواضيع رومنسية مثل (اعراس الليل على البحيرة) حيث اعتمد هينتس تروكس على اللعب بالالوان وخلق الهارموني اللوني بالاشكال الموزعة في وسط اسود . وهناك لوحات لم تهتم بالموضوع مطلقا وانما هي اشبه بمسودات فنان يتسلى (لوحات رولف كافايل كلها) وهناك فنانون استخدموا الصور المسرحية للتعبير عما في انفسهم وهذا الفنان (هـ.ا.ب. جريز هابر) يمثل في لوحة المساء المحفورة على الخشب حبيبا ينادي حبيبته وقد مد ذراعه وهو موزع بين اللون الاحمر القاتم وبين الاسود العاتم والحبيبة تظهر في طرف اللوحة الايمن وهي مرسومة باللون الاسود وتسد اللوحة وهي تسد اللوحة من الاسفل الى الاعلى دلالة على سيطرة المساء بعد حين .

واعتمد بعض الفنانين على فهمهم للالوان وحساسيتهم بها فنقلواالطبيعة من هذه الزاوية ، وانا اعتقد ان ماكس كادس المدرس بمدرسة الفنون الجميلة العليا ببرلين واحد من بين الفنانين الكبار الذين يدركون استعمال الالوان للتعبير وفي لوحته (منظر طبيعي على الشاطيء) حيث استعمل اللون الاصفر الليموني ـ والازرق السماوي والاخضر الخفيف لتصوير جمال الشاطيء وقدوفق في لوحته الشاطيء الاحمر بوضع الالوان الى جانب بعضها دون ان يشعرنا بالتنافر .

واستطاع رودلف كوجلر في لوحته « جزء من معبد » ان يقدم لنا لوحة رائعة عن الاثار الفرعونية وهو يستعمل البني والاسود الخفيف والابيض الشاحب بنسب لها تعابير مختلفة منها لنقل الزمن ومنهـا لتمثيل الماضي واستطاع برسم الاهرامات المتباعدة في اعلى اللوحة ان يمثل الزمن الذي مر على هذه الاثار . كما استطاع هاينتس تروكس في لوحته (اضواء باهتة) ولوحته (ثقوب الارض وثقوب الهواء) ان يقدم مزجا للالوان فيه تعبير كثير . ولا ننسى قدرة جورج مايسترمان في التحليل والتركيب لتفسير المنظور من اكثر من زاوية وبصورة خاصة في لوحته (شجرة) حيث اعتمد على القطاعات المختلفة وعلى التوازن في فن النحت لتمثيل الثقل .

وهناك بعض الفنانين من المشتغلين بالحفر على الخشب والمعدن اهتموا بتوزيع النور واستفادوا منه كثيرا ولكن النور هنا ليس نفس النور والظلال التي كان يعتمد عليها الفنانون الانطباعيون الذين استفادوا من تحليل الضوء .. ومن نور عدسة التصوير . النور هنا نور من نوع خاص ينبع من فهم الفنانوفايته من لوحته فهو في لوحة صياد السمك من الصيد نفسه وينبعث من داخل البحر الى وجه الصياد المتحفز ويتناثر بعدها في بقية اللوحة . وهذه اللوحة من اعمال (جيرهارد ماركس) وله لوحةثانية حفر على الخشبايضا تمثل ثورا منهزما وقد غمد الخنجر في نحره وهو يئن الما وقد مثل وجهه بالابيض عدا الجبهة التي يتداخل الابيض بالاسود فيها ، ويوزع النور هنا على اساس التقابل من الزوايا .

والمعرض حديث بالمعنى الصحيح للحداثة واقدم لوحة لا تعود الى اكثر من ١٩٤٥ ووسائلالرسم حديثةكالوان الماء والجواشوالطبع على محفورات نحاسية وخشبية واحجار لبتوغرافية .

هذه هي بعض الملاحظات العابرة على المعرض الالماني الذي يؤكد فكرة حرية الفنان وحريته في كل شيء للوصول الى الجمال والجمال المطلق ، وهو يطرح فكرة السيطرة والاصالة النابعة من الداخل من ذات الفنان واعماقه . هذا هو الفن الذي يكشف ذات المنظور الداخلية باضواء العقل الباطن والاحساس الجمالي.

دمشق — **عبد العزيز علون**

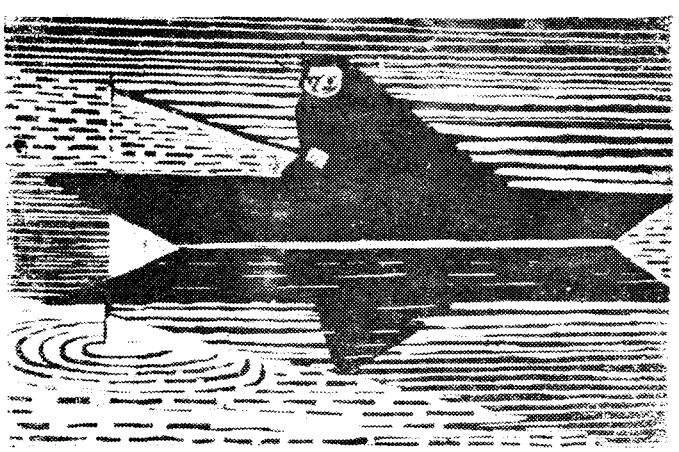

صياد السمك ـ لجيرهارد ماركس